

الفصل الثالث - المبحث الأول

العمليات التفتيشية، وكان قرارنا: منع العدو من الوصول لأية مستندات مهما تطلب الأمر، حتى الاشتباك بالأيدي أو مضغ الأوراق وابتلاعها، وهذا خط استمر على امتداد السنين. وكان من العار أن يقوم أحد المناضلين بتسليم سلاحه قبل الاعتقال، وبنفس الدرجة كان ينظر للمناضل الذي يسلم دفترا أو نشرة... (٤٠٢)

والحديث عن حياة الأسر ذو شجون. ولكن يجدر الإشارة الى أن ابرز قيادات الجبهة أصبحت قيادات للحركة الأسيرة وتمثلها أمام إدارات السجون والصليب الأحمر وأية وفود خارجية. وكانت إدارات السجون تنظر بعدائية لا تخلو من احترام، فكوادر الجبهة متعلمون ومثقفون وتأثيرهم ملحوظ. وقد انتزعت الجبهة حقها بالثقيف وعقد الجلسات التنظيمية بعد طول صدام. وهنا أحرزت نقله نوعية.

ومع هيكلة أوضاع الرفاق في منظمات حزبية، بات في كل سجن قيادة ولجنة مسؤولة في كل قسم أو غرفة، تتابع شؤون التعبئة الأيديولوجية والسياسية وعقد الجلسات ومعالجة قضايا ومشكلات الرفاق، وإصدار نشرة وتعاميم دورية وعقد مؤتمرات.

بعد إفراغ سجن بيت ليد على اثر إضراب عن الطعام استمر تسعة ايام تم نقل الأسرى إلى سجن بئر السبع الصحراوي، وهو من ناحية المناخ شبيه بمعقل النقب الصحراوي، بارد حد الصقيع شتاء سيما في الليل وحرار حد اللهب في الصيف سيما في النهار. ولكن سجن السبع المكون من «بركسات» كبيرة يتسع الواحد ل ٧٠ - ٨٠ معتقلا مزودة بمرافق خدمية فيما البناء يخفف من قيظ الصيف، الذي يشل حركة السجناء بين ساعات الظهر والعصر في معقل النقب، فيلوذون من اللهب إلى اللهب، فيما يتمتعون بساعات من أجمل الأوقات مساء والى أواسط الليل.

فللمكان تأثير كبير على حيوية الأسرى ومعاناتهم. والنشاط الثقافى الجماعى كان يعقد في الصباح ما قبل ارتفاع قرص الشمس في قبة السماء... أما المطالعة الذاتية فتستمر على طول النهار.

(كنا نتلقف كل كتاب جديد وتتداوله الأيدي بحساب صارم، ففي غضون يوم أو يومين يتعين نمريره لآخرين، وكنت أثار عليه ولا اخرج «للفورة» وأتمدد بحوار الباب الذي يتسلل من بين فضبانه ضوء الممرات من المساء حتى مطلع النهار، إذ كان نظام السجن يقضي بقطع الكهرباء عن الغرف في التاسعة ليلاً) (٤٠٤).